من نفاق القلب ومن بقي عليه شي من دواعي الهوي وان قل لا يومن عليه من
مثل هذا اذ ا تحققه العمل الا النفس انما تكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل
الا للباطل فاذا التبس عليك امران واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما احب وافضل
لتقدمه علي الاخر فانظر اثقلهما علي نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب
الانفس لا النفس المطمينة لا توصف بالجهل ولا بالشهوة فقد يخف عليها العمل ولا
يدل ذلك علي انه باطل فليكن نظر العبد حينيذ الي ما هو اكثر فايده واعظم مزية
فليقدمه علي غيره وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي حكاية عجيبة من شهوة النفس
وكونها لا تميل الا الي الباطل قال حدثني بعض اخواني من اهل هذه الطريقة قال
قدم علينا بعض الفقرا فاشترينا من جارنا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة
من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا
انتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا لا ناكل ان لم تاكل فقال انتم اعلم اما
انا فقير الكل ثم انصرف فتذاكرنا ان ناكل دونه فقلنا لو دعونا الشوا فسالناه
عن اصل هذا الحمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسله حتى اقر انه
كان ميتة وان نفسه شرهه الي بيعه حرصا علي ثمنه فشواه ووافق انه
اشتريتموه فاطعمناه للكلاب فلما ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته لاي
معني تركت اكله وبماذا عارض فقال اخبرك انما شرهت نفسي الي طعام منذ
عشرين سنة للرياضة التي رضتها به فلما قدمت هذا اشرهت نفسي
اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان في الطعام علة فتركت اكله لاجل شرة
النفس اليه قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه فانظر رحمك الله كيف اتفقا في
شرة النفس عن قصة واحدة ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع
والمحاسبة وترك للجاهل شرة النفس بالحرص وترك للموافقة اعني البايع الذي
يبيع الاخوان للتوفيق بحسن الادب وهو مع شرة النفس عن الاكل
الاحبهم ثم تدور كالبايع بعدو نوعه بصدق المشتري وحسن نيته اتقي
اخواص هي واكد تحقيقا من الاول وهوان يفقد نزول الموت فاي
شي سره ان يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل في لطايف
المنن والموت ميزان علي الافعال والاحوال كما هو ميزان في دايرة الرتب انما الرتب
فكما تقدم الله علامة صحة مرتبة الولاية واما الافعال والاحوال فاذا التبس عليك
امر لا تدري بما يرضي الله تركه او فعله او حالة اتلبس بها لا هل قمت فيها بحق
او قمت فيها بهوي فاورد الموت عليهما التخص فيه افعال واحوال فكل حالة وعمل يثبت
مع تقدير ورود الموت عليها ولم تنهدم فهي حق وكل حالة وعمل هدمها الموت
فهي باطل اذ الموت حق والحق يهدم الباطل ويدمغه الله تعالي بل نقذف بالحق علي
الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وقل جا الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما تشبه ثابتا بحق لم يهدمه الموت
اذ هو حق والموت حق والحق لا يهدم الحق قال وقد تجاريت الكلام انا وبعض
من يشتغل بالعلم في انه ينبغي خلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا الله
فقلت له الذي يعني انما لله هو الذي اذا قيل له غدا تموت لا يرفع الكتاب
من يده انتهي وهذا فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العمل في هذه
الحالة لا يحضر منه الا العمل الصالح الخالص من شوايب الريا ومما زجة
حظ النفوس واتباع الهوي وهذا هو المطلوب من العبد ولا يتسني له ذلك الا
ان يتحقق ما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معني قصر
الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو ان لا يقدر لنفسه وقتا ثابتا يكون فيه
حيا وعند ذلك تخلص عمله من الافات ويتطهر من انواع الرعونات لان وقع
الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المولف رحمه الله
وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع ذلك ان لم يكن متحققا
به لا يسلم ما ذكرناه بعيد من الاخلاص من ياخذ في علم غير متعين عليه الاخذ
فيه لا يجتني ثمرته الا في ثاني حال ويكون في الرهانة متمكنا من انواع طاعة
تزيد مصلحتها علي مصلحة ما اخذ فيه من العلم فيفوت ثوابها ولا يتحقق له
حصول التقرب بها لان في ذلك فوت نفسه وفارة حظه وافة ذلك انه
قد يعرض له في حال اخذه فيه غرض دنياوي يكون احظ لنفسه به اكثر
فيقدمه علي ما كان اخذ فيه ويشتغل به من غير مبالاة بما يفوته
من ذلك وانما عبرنا ~~[illegible]~~ بلفظ الاخذ ليدخل فيه تعلم العلم وتعليم
العلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس لله ولا لله مردود علي
صاحبه مضروب به وجهه وهذا يتبين غرور اكثر الخلق في علومهم الا
من رحم الله تعالي ولهذا يشاهد اكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون
علي ما اسلفوه من عمل ويودون ان لو انسي لهم الاجل وهيهات هيهات نعوذ
بالله من الغفلة في زمان المهلة فانها سبيل كل غم وباس ومعنيا وجود الغره

Copyright © King Saud University